الصراع بين الاصوليين والعلمانيين بشأن المسألة الدينية في الكيان الاسرائيلي

المدرس المساعد

سعد حميد ابراهيم

كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية

المقدمة

يعد الكيان الصهيوني مثالا واضحا في كثرة التناقضات التي يزخر بها، بدءا بالتناقضات الكامنة والظاهرة في صلب الديانة اليهودية، مرورا بالتناقضات في صلب الدعوة الصهيونية، وأخيرا التناقضات التي توجت بالصراع داخل الحركات الأصولية نفسها من جهة وبين هذه الحركات والاتجاهات العلمانية من جهة أخرى، وقد خضعت الديانة اليهودية لتحويرات وتفسيرات متناقضة منذ القدم، وظل هذا التناقض متجسدا في حياة اليهود عبر العصور، ووجد طريقه الى الصهيونية والى "دولة إسرائيل" ومن أبرز التناقضات تلك المتعلقة بالإعفاءات الشرعية، ذلك إن التلمود نظام دغمائي متشدد ـ بخلاف التوراة ـ والمعنى الحرفي للنص فيه ملزم، غير إن أحبار اليهود ابتكروا نظاما مخادعا يتمسك بحرفية الحكم الشرعي المرائي باسم نظام "الإعفاءات الشرعية" (هيتيريم Heterim).

أما في صلب الدعوة الصهيونية، فهناك التناقضات في صلب الدعوة الصهيونية ومخاضها وولادتها تناقضات فكرية كبيرة فضلا عن الغموض والإبهام، مقصودا كان أم غير مقصود، فهناك التناقض-عند ولادة الصهيونية- بين الصهيونية الثقافية والصهيونية السياسية وهنالك التناقض بين الصهاينة المنادين بالعودة الى ارض"إسرائيل" المزعومة والصهاينة المخالفين لذلك ، وهنالك التناقض بين الصهيونية القومية والصهيونية الاشتراكية، وهنالك التناقض بين الداعين إلى إحياء اللغة العبرية واتخاذها لغة قومية لليهود، والمعادين لتلك الدعوة.

وهناك دوما وأبدا التناقض بين الدعوة الصهيونية التي تدعي إنها علمانية عصرية والأصولية اليهودية، ولاسيما في اتجاهاتها التقليدية والأرثوذكسية المتطرفة إلى جانب التناقض بين أصحاب النزعة الصهيونية المتدينة والاتجاهات الأصولية

الأخرى المناهضة للصهيونية وهنالك التناقض بين الصهيونية الهرتزلية وفروعها من جهة واليمين القومي الصهيوني الفاشي من جهة أخرى وغيرها كثير.

اما الصراع داخل الحركات والاتجاهات الأصولية وبين هذه الحركات والاتجاهات العلمانية فيعد من اخطر الصراعات واقتلها ، وتلك مسالة تعود بجذورها الى ولادة الحركة الصهيونية، ويتجسد هذا الصراع بمظاهر عديدة ونتيجة لذلك وانسجاما مع متطلبات البحث ، فضلا عن عسر الاحاطة بتلك المظاهر جميعها ، سنقصر بحثنا في طبيعة هذا الصراع (بين العلمانيين والأصوليين) على مسالتين او مظهرين رئيسين هما الصراع بشان طبيعة المجتمع "الاسرائيلي" والصراع بشان السياسة الاسرائيلية باعتبارهما مظهرين رئيسين شاخصين في الكيان الصهيوني.

وسنعمل على بحثهما تباعا وعلى النحو الاتي:

المبحث الاول: صراع بشان طبيعة المجتمع (الاسرائيلي).

المبحث الثاني: صراع بشان طبيعة السياسة الاسرائيلية.

المبحث الأول

صراع بشان طبيعة المجتمع (الإسرائيلي).

تتباين وجهة نظر العلمانيين عن الأصوليين بشان طبيعة "المجتمع الإسرائيلي" بسبب الطبيعة الخلافية في النظر الى طبيعة المجتمع ولاجل توضيح ذلك ينبغي اولا ان نتطرق الى طبيعة المجتمع الاسرائيلي، ومن ثم نحاول ان نحدد نقاط الخلاف بين العلمانيين والاصوليين المتعلقة بطبيعة "المجتمع الاسرائيلي" ، والى ماذا ستؤدي نقاط الخلاف تلك فيما يتعلق بالمجتمع، واخيرا نحاول وانطلاقا من او بالاستناد الى الواقع التطرق الى امكانات حسم الصراع لهذا الطرف او ذاك.

عليه سنتناول ثلاثة مطالب من خلالها الصراع بشان طبيعة "المجتمع الاسرائيلي" بين العلمانيين والاصوليين وعلى النحو الاتي:-

المطلب الاول: طبيعة المجتمع(الاسرائيلي).

المطلب الثاني: الصراع بين العلمانيين والاصوليين بشان المجتمع الاسرائيلي.

المطلب الثالث: نتائج الصراع الاجتماعي واحتمالاته المستقبلية.

المطلب الأول

طبيعة المجتمع (الإسرائيلي)

يعد المجتمع "الاسرائيلي" فريدا من نوعه اذ ان ولادته جاءت غير طبيعية[1]. وينقسم ذلك المجتمع الذي قام في الاصل على تجميع يهود العالم الى قسمين

---

[1]) حلمي عبد الكريم الزعبي ، المجتمع الصهيوني: تركيبته وتناقضاته واحتمالات تفجرالصراع مستقبلا (اعمال ندوة المجتمع الاسرائيلي) جامعة بغداد : مركز الدراسات الفلسطينية / ١٩٨٥،ص٣٠.

الاشكنار" و"السفارديم"، ويرجع تقسيم اليهود الى " الاشكنازيين" و" السفارديم" الى الاصل الذي ينحدرون منه فالاشكنازيون هم اساسا يهود شرق اوربا(روسيا – بولندا) الذين يتحدثون اليديشية، واشكناز هو احد احفاد نوح .

وكانت الكلمة تستخدم في بادئ الامر للاشارة الى الشعب والبلد الموجودين على حدود ارمينيا ، ولكنها في العصور الوسطى اصبحت تشير الى الاراضي الاوربية التي يسكنها الجنس الجرماني ثم اصبحت تشير الى المانيا ، ويشكل الاشكناز النخبة القائدة للمجتمع "الاسرائيلي" فكريا وسياسيا ، اما السفرديون وبالعبرية سفارديم فهم اصلا يهود اسبانيا وحوض البحر المتوسط وغدا يطلق على كل اليهود الشرقيين في المجتمع "الاسرائيلي" اي اليهود الذين ليسوا من اصل عربي[٢].

وتتحكم بالمجتمع "الاسرائيلي" ثلاث قوى متداخلة تشكل اوليغارشية ، فمن جانب هناك المجموعة السياسية – الاقتصادية باحزابها التي اوكلت اليها وظيفة قولبة الافراد في اطار يراد له ان يكون تضامنيا، لان التصارع بسبب الانتماء الوطني المتحكم بالعلاقات الداخلية لهذا الاطار يضعف من قوة ابنائه ، فالاحزاب بنيت افكار غالبيتها على قواعد الايديو لوجية الصهيونية التي تركز مبادئها على الارض باعطائها مفهوما "قوميا".

وهنالك المجموعة العسكرية المالكة للقوة الضاربة ، التي اوكلت اليها وظيفة قولبة الاحزاب السياسية والافراد بقالب العسكرية الانضباطية[٣]واخيرا الهرمية الدينية التي تمنح لكل من المجموعة السياسية والاقتصادية والمجموعة العسكرية شرعية السيطرة والتحكم مادام هناك ترابط بين الارض وسماوية معطيات الديانة اليهودية[٤].

ان الولادة غير الطبيعية "للمجتمع الاسرائيلي" بتناقضاته من جانب، وطبيعة القوى المتحكمة به من جانب اخر اكدت ان احتمالات الصراع قائمة في تركيبته، وقد اكد ذلك الكثير من علماء الاجتماع الصهاينة انفسهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا

---

[٢] سراب حميد عبودي ، اوضاع اليهود الشرقيين في اسرائيل ، بغداد ، مركز الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨٦ ،ص ص٢-٣، للاستفاضة ينظر حميد فاضل حسن ، ازمة الهوية في الكيان الاسرائيلي ، رسالة ماجستير غير منشورة ،بغداد ،كلية العلوم السياسية، ٢٠٠١،ص ص١٥٥-١٧٤.

[٣] منذ صدور قرار الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ، بدات المؤسسة العسكرية تنظم وتسيطر على مقدرات المجتمع اليهودي كافة في فلسطين لفرض الامر الواقع واعلان (دولة اسرائيل)في ١٤ ايار ١٩٤٨م، وللمزيد من التفاصيل عن دور المجموعة العسكرية ، ينظر: على سبيل المثال ،فاروق توفيق القرهغولي ، المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي) ١٩٤٨-١٩٩١ ، بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٩٩.

[٤] سويم العزي، الشخصية الاسرائيلية بين الخضوع والعنف ، مجلة المستقبل العربي (بيروت) العدد(٢٣٨) ١٩٩٨/١٢/ص٦٣.

الحصر، العالمة (يهوديت هاندل) وغيرها، ان التناقضات في المجتمع "الاسرائيلي" غير قابلة للذوبان والزوال، للعوامل الاتية[٥]:

١- وجود ابناء طوائف مختلفة باعداد كبيرة الى جانب بعضهم البعض.

٢- التداخل النسبي او المطلق للاطر التي يعيش فيه ابناء الطوائف المختلفة وينشطون (مثل مكان السكن والمدرسة ومكان العمل والجيش).

٣- التلاصق الكبير بين المركز الاجتماعي والاقتصادي الذي يؤدي الى تفاقم المشكلة الطائفية ويهدد سلامة المجتمع.

٤- رواسب المرارة والاحباط والشعور بالغبن، التي تعمقت في نفوس ابناء الطوائف الشرقية على مدى سنين طويلة.

٥- ظهور طبقة عليا بين الطوائف المغبونة وتعاطف هذه الطبقة مع مشاكل الطائفة التي تنتمي اليها.

٦- تفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في "اسرائيل" وتاثير ذلك في اليهود الشرقيين وما يترتب على ذلك من توترات تنعكس سلبا على المجتمع الصهيوني.

هذه التناقضات والراجح بانها غير قابلة للذوبان والزوال، تدلل على ان "اسرائيل" وعلى الرغم من محاولاتها احياء الماضي وربطه بالحاضر على اساس ان المجتمع مستمر وقائم، واثبات ان المجتمع "الاسرائيلي" بمؤسساته (اليوشوف) كان قائما ومستمرا بمعنى انه كان يملك المؤسسات التي تدلل على استمرارية في محاولة لاثبات وترسيخ الحق اليهودي في فلسطين[٦]، لاتستطيع نفي النظرية التي تقول بان "اسرائيل" مجتمع مصنوع، تلك النظرية التي سعت الحركة الصهيونية جاهدة الى تثبيتها من خلال التفاعل مع الارض ومن خلال بناء المؤسسات التي تسمح بقيام الدولة لذلك نجد ان الحركة الصهيونية قد عملت بكل فاعلية وجدية وركزت جهودها في الحقبة الزمنية الممتدة من ١٨٩٧ الى ١٩٤٧ من اجل بناء المجتمع واقامة المؤسسات وصولا الى قيام الدولة اليهودية، تلك المؤسسات التي غرست في هذا الخليط من المهاجرين قيم ومبادئ عنصرية توسعية، ورفعت لديهم توقعات مادية اقتصادية معينة، مما زاد بدوره من الضغط على المؤسسات لتزيد من كفاءتها لتلبي احتياجات السكان المتزايدة ولا يمكن ان يتحقق ذلك باي حال الا بالتوسع المادي الذي يحتاج بدوره الى تقوية العسكرية الصهيونية، وهذا يحتاج الى مزيد من الرجال والاموال والسلاح من مصادر خارجية مما يدفع المنظمة الصهيونية العالمية الى توسيع مستمر وزيادة دائمة في نشاطها، ومع كل تدفق جديد من المهاجرين يزيد نشاط كل من الوكالة اليهودية

---

٥) ورد عن:حلمي عبد الكريم الزعبي ،مصدر سبق ذكره ،ص٢.

٦) **خلدون ناجي معروف، بعض سمات الشخصية الاسرائيلية ،بغداد :مركز الدراسات الفلسطينية ،(بدون تاريخ)** ،ص١١.

والهستدروت ، فتعمل الاولى من اجل توطينهم والسهر عليهم في المرحلة الاولى، وتعمل الثانية على تدريبهم على اعلى مستوى من الحرف والمهن المتنوعة والافادة القصوى منهم انتاجا وسياسيا، اما المسالة الثانية فتجد ان "اسرائيل" تحاول ايجاد صيغة جديدة للهيئات والخلفيات المتنوعة بما يتلاءم والوضع الجديد[٧].

لكن على الرغم من هذا المسعى يظل المجتمع "الاسرائيلي" حاويا لعوامل التنافر اكثر من التلاحم في تركيبته، ومعها يمكن القول ان التناقضات والصراع ربما ستستمر لوقت طويل ، ولتاكيد ذلك ننطلق من الهجرة اليهودية "فالهجرة اليهودية تعد من المتغيرات الاساسية التي ادت دورا مهما في تركيب المجتمع "الاسرائيلي " وتحديد خلفياته ، وحجر الزاوية "لاسرائيل" التي تسعى عن طريقها الى التوسع والعدوان[٨]. ونتيجة الهجرات التي جاءت الى فلسطين ، والتي عدت الاساس المادي لقيام "اسرائيل" تنوعت مصادر الهجرة الامر الذي ادى الى ان اليهود الذين وفدوا من مختلف الاقطار تنوعت خلفياتهم ومن ثم افكارهم وقيمهم ،وهذه القيم هي التي ادت الدور الاكبر في التفاعل مع الارض وفي خلق المؤسسات التي اصبحت فيما بعد هيكل الدولة والمجتمع الاسرائيلي"[٩].

اذن من الهجرات المتعاقبة تكون المجتمع "الاسرائيلي" ومنها ،فضلا عن التناقض والصراع في صلب الديانة اليهودية ، وفي صلب الدعوة الصهيونية ، نتجت العديد من التناقضات والصراعات في الكيان "الاسرائيلي" بعد اقامته ، وكيف حملت فيه وانتجت واقعا حاليا ممزقا ووهنا معنويا قتالا لانغالي اذا قلنا مع العديد من كتاب اليهود انفسهم انه يهدد وجود "اسرائيل في صميمه"[١٠].

عليه ماهي طبيعة الصراع بين العلمانيين والمتدينين بوصفه حالة من حالات الصراع التي يزخر بها المجتمع "الاسرائيلي"؟.

المطلب الثاني

الصراع بين الأصوليين والعلمانيين بشان المجتمع الإسرائيلي

تعود كل التناقضات التي زخر بها المجتمع "الاسرائيلي" الى بذور الصهيونية الاولى وما حملته من تناقض وتنافر، ومن رغبة في قسر الواقع وتحميله غير طباعه وفوق ما يحتمل ،بل وضد ما يومئ اليه ،كما يرجع الى الرواسب التي حملتها الديانة

---

(٧) خلدون ناجي معروف، مصدر سبق ذكره ،صص١١-١٢.
(٨) المصدر نفسه ،ص١٢.
(٩) المصدر نفسه ،ص١٣.
(١٠) عبد الله عبد الدائم ، اسرائيل وهويتها الممزقة ،بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية ط١،١٩٩٦،ص٧١.

اليهودية عبر تاريخها الطويل، وما فيها من تناقض وتخلف وبعد عن روح العصر[١١].

يزيد من حدة هذه التناقضات جميعها، التناقض الاكبر بين التيارات الاصولية والتيارات العلمانية، ولاسيما بعدما جرى في السنوات الاخيرة من نمو متوازن لكلا التيارين.

تجسد التيار الاصولي حركة " غوش ايمونيم " التي تاسست رسميا في نهاية شتاء سنة ١٩٧٤ ، على شكل تمرد داخل حزب المفدال الذي وافق على الانضمام الى حكومة رابين الائتلافية ، وهي الحكومة التي وقعت اتفاقية فصل القوات مع مصر وسوريا ، والاستعداد للحلول الوسط في قضية الارض المحتلة[١٢].

يستند ناشطوا حركة غوش ايمونيم الى مصادر ايديولوجيه محددة ، وان كانوا لايرغمون مؤيديهم على تبنيها، فالحركة ليست حزباً وانما حركة شعبية غير ملتزمة الا المحافظة على "ارض اسرائيل" ولكن لهذه الحركة نواة ايديولوجية قومية تستند الى التراث الديني اليهودي ومصادر علمانية عديدة ، قسم منها حركة العمل الصهيونية وقسم اخر في الحركة الصهيونية التصحيحية (Revisionist Zionism) ، لكن نواتها الايديولوجية لم تعد مدرسة لاهوتيه تفسيرية كالتي اسسها الحاخام كوك،بل انها حركة سياسية(مثل كل الحركات الاصولية) تقتبس من التراث الديني ما يخدم اهدافها السياسية ، وتشكل فلسفة او مدرسة دينية متكاملة تضيف قطبا جديدا الى حلبة الصراع الفكري ،لكن الحركات الاصولية ليست مدارس دينية او فلسفية ،فكل الدين وكل الفلسفة وكل التراث هي عندها ايديولوجيه تقتبس منها اقتباسا انتقائيا فالفلسفة والتراث كنزان للاقتباسات والتبريرات الايديولوجية[١٣].

وفيما يخص المتدينين وعلى الرغم من اختلاف بعضهم بشان المدى الذي وصل اليه نفوذ الاتجاهات الدينية والاصولية داخل المجتمع "الاسرائيلي" لكن هناك اتفاقا عاما على ان هذا النفوذ يستمد اهميته من كونه يمثل " رمانة الميزان"التي تحكم علاقات القوى السياسية المختلفة داخل "اسرائيل" بالسلطة وتوجهها[١٤]، ويعود ذلك الى ان الصهيونية السياسية تلقفت الافكار الدينية اليهودية ووجدت في مكوناتها اداة مهمة وفاعلة لشحن وتعبئة قطاعات مؤثرة من اليهود المتدينين ، خدمة لاهدافها السياسية .

---

[١١] المصدر نفسه ،ص١٢١.

[١٢] عزمي بشارة ،دوامة الدين في اسرائيل ، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ،قبرص ،العدد ٣ ١٩٩٠ ،ص٣٨ ،وللمزيد من التفاصيل ينظر : داني روبنشتاين ،غوش ايمونيم ،الوجه الحقيقي للصهيونية ،ترجمة غازي السعدي ،عمان ،دار الجليل،١٩٨٣.

[١٣] عزمي بشارة ،مصدر سابق ،ص٣٩.

[١٤] احمد بهاء الدين شعبان ، حاخامات وجنرالات ، الدين والدولة في اسرائيل ،القاهرة، دار الترجمة والنشر ،ص١٩.

وتحقيقا لمطامعها الاستراتيجية ، فليس هناك ماهو اكثر تاثيرا في النفس المكلومة ، ولا اشد وقعا في الارواح المعذبة والمهانة على مدى قرون وقرون من التلويح بالمهمة المقدسة الملقاة على عاتقهم ، وبفكرة "الخلاص" و"العودة" الى ارض "اللبن والعسل" والبلاد الموعودة التي وهبها الرب لهم[١٥].

وعلى الرغم من ان قادة الحركة الصهيونية الكبار (من هرتزل الى بن غوريون) كانوا اصحاب مواقف سلبية من الدين ، الا ان الصهيونية السياسة ازاء ادراكها لاهمية وحيوية العنصر الديني الكامن في النفس اليهودية التي نمت في المعازل "الجيتو" على امتداد احقاب طويلة ، استخدمت خليطا من العقيدة والبعد السياسي ، واستغلته بذكاء ، وحنكة لعزل العناصر التي كانت تدعو الى "الاندماج" من جهة والى ضرب فكرة " الخلاص المسيحاني" النقية ، التي كانت تربط بين هذه الفكرة و"التدخل الالهي" المباشر كونه شرطا لانجازها ، من جهة اخرى[١٦].

لقد اندمج الدين بسبب وعي الحركة الصهيونية باهميته ،في صلب برامجها وخططها السياسية ، وتشعبت تداخلاته حتى اصبح من الصعب الفصل بين الدين والسياسة في احيان متعددة ،بل ان الدين ــ على الرغم من الادعاءات العلمانية لقادة الحركة الصهيونية ــ اصبح صلب دعاويها السياسية :ذلك ان " الفلسفة الصهيونية لايمكن ان تقوم الا بالاستناد الى الدين الموسوي" حسبما يقرر ناثان وينستوك (Nathan Winstock) في كتابه "الصهيونية ضد اسرائيل فاذا مالغينا مفهوم "الشعب المختار" وفكرة "ارض الميعاد" فان اساس الصهيونية سينهار ، ولهذا السبب تستمد الاحزاب الاصولية قيمتها من التواطئ مع الصهيونيين الذين لايؤمنون بالدين ،فالحزب الاجتماعي الديمقراطي "الماباي" هو الذي قرر ،بناء على توجيه بن غوريون، تدريس الدين كونه مادة اجبارية في البرامج الدراسية ،ولم تقرر ذلك الاحزاب الاصولية[١٧].

ومن الناحية العملية تصور حالة من الانسجام في بنية المجتمع الاسرائيلي مع وجود الاستخدام السياسي للدين والتطبيق العلماني في السياسة الاسرائيلية.

ترت الاصولية[١٨] الدينية–اليهودية في اوساط واسعة من المجتمع "الاسرائيلي" لسبب تناقضات الصهيونية وتناقضات "اسرائيل" نفسها ،فعلى الرغم من ان الحركة الصهيونية من الاساس حركة علمانية ، الا انها عملت على توظيف الدين اليهودي في

) المصدر نفسه،ص٢٨.

) احمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ،ص٢٩.

) المصدر نفسه.

) من ضمن التعبيرات والتعريفات الكثيرة عن (الاصولية) يعرفها ريتشارد تابروناسي تابر في كتيبهما (بفضل الله فنحن علمانيون) كونها نظرة الى العالم وكلام عن طبيعة الحقيقة ،يشتمل على المجال الديني ويتخطاه متساميا ...ولذلك فان كل حركة وقضية هي اصولية بالقوة) ،وللمزيد من التفاصيل ينظر: احمد بهاء الدين شعبان ،مصدر سابق ذكره ،ص١٧.

خطتها لخلق جاذبية لمشروعها بين اوساط يهود العالم، وقد عد مؤسس الحركة ،ثيودور هرتزل[١٩]، الدين اليهودي بمثابة"السجاد الثمين الذي يخصب البذرة الغالية" للقومية ويحميها من القوى النهمة للاندماج ،وحدد هرتزل دور رجال الدين في مشروعه بقوله " سوف يقوم حاخامونا الذين نتوجه إليهم بنداء خاص ،بتكريس جهودهم وطاقاتهم لخدمة فكرتنا ، وسوف يغرسونها في نفوس الرعية اليهودية عن طريق الوعظ والارشاد من منابر الصلاة، لن نسمح اذا بظهور اي نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية ،ولسوف نعمل الى ابقاء هذه السلطات داخل الكنيسة ، اما الزعيم الصهيوني بن غوريون وهو اول رئيس حكومة "لاسرائيل" فيقول[٢٠] " ان الدين وسيلة مواصلات فقط ولذلك يجب ان نبقى فيها بعض الوقت لا كل الوقت".

تبنت الحركة الصهيونية في محاولاتها صياغة " قومية " يهودية تفسيرا دينيا واسطوريا للقومية يتناقض مع توجهاتها العلمانية ،مما ادى فيما بعد الى تطور هذا التناقض لياخذ ابعادا اخرى، اذ نشئ في "اسرائيل" تجمع استيطاني محدد الملامح ،يختلف نوعا ما ، باهتماماته وثقافته ،عن التجمعات اليهودية الاخرى في العالم ، وهذا بدوره خلق تناقضا بين مشروع الامة اليهودية ومشروع الامة "الاسرائيلية الناشئة" او بين الهويتين "الاسرائيلية واليهودية" وطرح هذا الوضع تساؤلا عن مرجعية اليهود ومركزهم ،على نحو هل تؤلف "اسرائيل" مركزا ليهود العالم ام انها احد مراكزهم؟ ومن يحدد سياسات "اسرائيل" واولوياتها هل" الاسرائيليون" او اليهودية العالمية ؟ لقد طرحت قضية تعريف من هو اليهودي وعلاقة ذلك بالقدوم الى "اسرائيل" للاقامة فيها او البقاء في "المنفى" فضلا عن هذا وذاك فقد عرفت "اسرائيل" نفسها انها دولة يهودية ديمقراطية ،وهي بذلك وجدت نفسها في تناقض مع ذاتها ،فكيف لها وهي دولة يهودية ،ان تكون في الوقت نفسه دولة ديمقراطية بينما زهاء ٢٠% من سكانها هم من العرب اي ليسوا يهودا ،ولا يتمتعون بحقوق اليهود[٢١].

وهكذا فخلال مدة مخاض الوليد الذي اعلن عنه في ١٤مايس١٩٤٨، تصارع في اوساط التكتلات اليهودية اتجاهان اساسيان:

الأول: يمثله قطاع ملموس في اوساط التيارات السياسية الصهيونية (الخالصة) ان صح التعبير، والذي كانت منطلقاته تميل الى منازع علمانية ،تخشى عواقب التسليم بدور اكبر لدعاة تديين المجتمع، وترى فيهم جنوحا الى الارتدادية، والرجعية الفكرية والتقليدية الكهنوتية التي تنتمي الى ماض سحيق ينبغي الخلاص منه، فقد كانوا

---

[١٩]) ورد في ماجد كيالي ، الاحزاب الدينية في اسرائيل: تناقضات السياسة والمجتمع ،مجلة شؤون الاوسط ،العددان ٨٥،٨٦،آب/اغسطس ١٩٩٩،ص٥٥.

[٢٠]) المصدر السابق ،ص٥٦.

[٢١]) ماجد كيالي ،مصدر سبق ذكره ،ص٥٦.

يعتقدون مثلما عبر بن غوريون ان "الحياة لو تركت لحاخامات اليهود لضلوا لحد الان كلابا ضالة في كل مكان، يضربهم الناس بالاقدام ، ويحتمي اليهود من اقدام الاغلبية الساحقة لهم في كل مكان باحلام العودة الى ارض الميعاد والاجداد ،وانتظار المسيح الذي سيهبط عليهم من السماء، لينقذهم ويقوم لهم بكل العمل ،بينما هم يصلون الفجر والعشاء ويبكون ليلا ونهارا".

والثاني: وتمثله القيادات البراغماتية العملية، وعلى راسها "بن غوريون" التي كانت مع تسليمها بالتقويم السابق لدور دعاة التدين التقليديين تتقبل التسليم بدور الحركات الدينية ودعاتها، هذا الدور الذي لايقود المجتمع ولكنه يسهم في حشده خلف راية الصهيونية، ولا يعرقل توجهاتها او يعرقل خططها الاجتماعية والاقتصادية لكنه يخدم برامجها السياسية، ويحشدمن خلفها قطاعات عريضة من "الجماهير المؤمنة"التي تمثل الدين ، وما زال يمثل مرتكزا اساسيا لفهم الوجود والتعامل مع معطيات الحياة ، لقد كان الدين في عرف هذه القيادات هو "وسيلة مواصلات فقط ينبغي ان نبقى فيها بعض الوقت لاكله"[٢٢] .

المطلب الثالث

نتائج الصراع الاجتماعي واحتمالاته المستقبلية

ان الصراع بين التيارين العلماني والاصولي يمكن ان يزداد حدة في المراحل القادمة،على الرغم من وجود بعض الافكار التي طرحت من حاخامات يهود توفق بين التيارين ، ويشكل فكر الحاخام "كوك" انعكاسا دينيا واعيا للفكرة الصهيونية ،فالفكرة المسيائية والخلاص ليس منافيين لحركة التاريخ ،بل هما جوهر الحركة التاريخية نفسها ،وخطة الحركة التاريخية مقررة سلفا ،وهي تتجه نحو الخلاص وقدوم المسيا. فالصهيونية هي استجابة لنداء الرب ،بل هي الارادة الالهية نفسها وقد تجسدت على شكل حركة علمانية ــ والعلمانيون الصهيونيون ينفذون ارادة الله من دون ان يدركوا ذلك في وعيهم الذاتي :"فان مايريدونه لايعلمونه هم انفسهم " بذلك حل الحاخام "كوك" تناقضات التيار الصهيوني الديني كما بدا لشبان حركة "بني عكيفا" وحزب المفدال، ورد بشدة انتقادات اليهود الارثوذكس ضد التعاون مع العلمانيين ،مبينا انه من الضروري التمييز بين الارادة والرغبة الذاتية للفرد الفاعل في التاريخ والنتائج الموضوعية لاعماله،ان الصهيونيين وان ارادوا مشروعا علمانيا قوميا فانهم ادوات في يد الله يصنع بهم الخلاص لشعبه ، وكانت افكار الحاخام "كوك" مثل غيرها من الافكار الغيبية ،ترى في الواقع المادي الملموس فكرة ،بل خطة ميتافيزيقية تخلط الدين والسياسة والاخلاق بحركة الواقع نفسها ،متحولة الى ايديولوجية متكاملة تبرز فيها ارض "اسرائيل" والاستيطان والزي العسكري قيما مقدسة في خطة ربانية ــ والغريب

---

[٢٢])احمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ،ص ص٢٩-٣٠.

،انها القيم المقدسة نفسها لدى المتطرفين الصهيونيين العلمانيين في معسكر اليمين الاسرائيلي ،الاصولية الدينية والتطرف القومي يلتقيان[٢٣].

عليه لم يشتط الحاخام "كوك" في موقفه من الاتجاهات العلمانية التي سادت صفوف الحركة الصهيونية ونحى منحى معاديا للدين رافضا للشرعية وطقوسها ،عادا ان تباهه ليس ارادة الله في شيء..فالجوهر الداخلي للقداسة اليهودية مازال في قلوبهم وبرر معنى هذه العناصر للمجاهرة بمعاداة التوراة، والتمرد على التزاماتها كونها مظهرا من مظاهر المحنة ،اذ يتزايد "في ازمة الخلاص الفسق والاستهتار ،يتمرد الناس على كل شيء يعصون ويرذلون ، ويطلبون الكلأ في المراعي الغربية .. يعتنقون المثل الغربية ، ويستهترون بكل المقدسات ،لكنه اعلن ثقته في مآل هذه العناصر الى حضن الشريعة في النهاية ،بتاثير من احتكاكهم باليهود المتدينين ،حاملي لواء الشريعة ،حيث يدركون المعنى الروحي والخلاص لمنجزاتهم :" ان شباب المستقبل "الإسرائيلي" الحازمين جدا وروحا ، المضطرمين بهدى حي عميق سيتكلمون — اذا ما راوا نهضة شعبهم وأرضهم — باعتزاز عن الارض المقدسة ،ومجد اله"اسرائيل" وسوف تهب قوة روحية شديدة الحيوية فتحرك العظام الجافة التي استمدت بقائها من المنطق البارد والميتافيزيقيا الهامدة وانحطاط الشك الفلسفي .. وعندئذ تتم النبوءة[٢٤].

ويبدو ان الاتجاه ألتوفيقي جاء لراب الصدع بين الأصوليين والعلمانيين ،فقد بحث الإيديولوجيات السائدة في المجتمع "الإسرائيلي" عن ضالتها ، وبحثت الصهيونية الدينية عن جسور للوصول الى الأرثوذكسية ،كما بحثت الصهيونية الليبرالية عن جسور الى الإصلاح ، وكذلك بحثت الصهيونية الاشتراكية عن جسور الى الراديكالية الثورية... ولقد كان من غير الممكن من دون قدر ملحوظ من الوحدة المطالبة باعتراف دولي، كما كان من غير الممكن تعبئة الموارد المادية والبشرية لتحقيق الصهيونية ، إذن تلك هي خلفية الاتفاق الذي يبلور بين الجمهور الصهيوني الأصولي والجمهور الصهيوني العلماني في ارض "اسرائيل".

وقد انصب ذلك الاتفاق في تعبئة الموارد المالية والبشرية من الشعب اليهودي والعمل من اجل الاعتراف السياسي الدولي ، وشراء الاراضي في ارض "اسرائيل" واقامة مستوطنات ، وانشاء المرافق الاقتصادية ، وخلق قوة دفاعية .

وكان هناك اتفاق ايضا على ان اللغة العبرية هي اللغة القومية "وانها اساس التعليم القومي" .. بيد ان كتلة ايديولوجية اخذت تبلوراطرا طائفية ونتاجا ثقافيا خاصا بها. وهكذا ترسخ التوتر بين اتجاه الوحدة واتجاه الانفصال ، وقد انعكس هذا التوتر باوضح صورة في النظام القضائي ،اذ اختار اليهود في ظل حكم الانتداب ، القضاء

---

[٢٣] عزمي بشارة ،مصدر سبق ذكره،صص٣٧-٣٨.

[٢٤] احمد بهاء الدين ،مصدر سبق ذكره ،صص٣٥-٣٦.

الشريعة طبقا لاحكام الشريعة اليهودية ، والحفاظ على قدسية يوم السبت والاعياد اليهودية فقط خاضعة لاشراف الحاخامية طبقا للشريعة ..وهكذا تبلورت المصالحة العملية السياسية التي تسمى حتى الان بـــ الوضع الراهن statusquo[٢٥].

وعلى الرغم من الاتجاه التوفيقي بين التيارين الا أن الصراع يمكن ان يزداد حدة في المراحل القادمة من اجل وضع رسم حدود ودستور "لاسرائيل" في سياق تحويلها الى دولة عادية والى دولة لمواطنيها ، وهذا الصراع سيخضع للتحولات الداخلية في "اسرائيل" لكنه سيتاثر كثيرا بالتطورات والمتغيرات الدولية والاقليمية ، اذا فمن المهم مراقبة مايجري في "اسرائيل" ولكن من الاهم الالتفات نحو بناء الاوضاع التي تمكن من استثمار التناقضات "الاسرائيلية" ودفعها نحو اتجاهات تخدم تحقيق الاهداف العربية وهذا لايمكن ان يكون ناجحا الا بتعزيز العرب لقدراتهم ولتضامنهم في مواجهة التحديات التي تفرضها اسرائيل في المنطقة من مختلف النواحي وليس من النواحي السياسية والامنية فقط[٢٦]، وعموما فان التطورات المحتملة لحل هذا الصراع تتمحور حول ثلاث نقاط هي[٢٧]:

١- استمرار اتفاق "الوضع الراهن"الذي اشير اليه في صفحة سابقة.

٢- الفصل بين الدين والدولة رسميا ،وهذا الاحتمال بعيد التحقيق لان من شانه ان يؤدي الى تصعيد الصراع بدلا من حله.

٣- قيام دولة على اساس الدين اليهودي وتطبيق مبادئ الشريعة اليهودية ، مثل هذا الحل يؤدي بدوره ايضا الى تصعيد الصراع بين العلمانيين والاصوليين ،فضلا عن كونه يناقض الاسس "الديمقراطية" التي تقوم عليها "الدولة" والتي طالما تغنى بها الاعلام"الاسرائيلي".

وهكذا يبدو ان الاحتمال الارجح هو استمرار "الوضع الراهن" وهذا الاحتمال يجعل من الاقلية الدينية قوة مؤثرة في السياسية "الاسرائيلية" وذلك لان ثقل الاحزاب الاصولية يشكل عاملاحاسما في تشكيل الاحزاب الائتلافية ، وبهذا فان هذه الاحزاب تفرض المزيد من شروطها بما يعزز من نهجها الديني، وهكذا تستمر قوتها بالتزايد مع مرور الوقت.

---

[٢٥] مصطفى الحسيني ، صراع المتدينين والعلمانيين في اسرائيل: خلفية وابعاد ، مجلة الملف ، العدد ٢٨ تموز ١٩٨٦،ص٣١٢.

[٢٦] ماجد كيالي ، مصدر سبق ذكره ،ص٥٩.

[٢٧] شاكر عبد الكريم فاضل ، التلاحم والتنافر في تكوين المجتمع الاسرائيلي :دراسة اجتماعية سياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ،بغداد ،كلية العلوم السياسية ،جامعة بغداد ،١٩٩١،ص١٨٠-١٨١.

المبحث الثاني
صراع بشان طبيعة السياسة الإسرائيلية

تعد السلطة السياسية لاي دولة انعكاسا لواقع مجتمعها ، وتحمل الكثير من خصائصه . وان لم تكن كذلك فهذا لايعني باي حال من الاحوال انعدامها ،فضلا عن كونها انعكاسا لواقع المجتمع لايعني انعدام حالة الصراع لاسيما مع عدم توافر عناصر الانسجام في طبيعة تركيبة المجتمع.

وإذا ما حاولنا ان نتبين طبيعة السلطة السياسية في "اسرائيل" فعلينا ان نتبين اولا مفهوم العلمانية او العلمنة بوصفها عملية اجتماعية تحديثية ،ولا شك ان هناك العديد من التعريفات التي تنطلق اساسا من عد اوربا العصر الحديث أنموذجاً كلاسيكيا لعملية العلمنة ، وهنالك توجهان اساسيان يتخللان معظم التعريفات ،ينطلق الاول من العلمنة التي كانت في مؤسسة الكنيسة نفسها وفي الاديرة ،وتجلت بالتوجه والاعتناء اكثر فاكثر بقضايا الدنيا ، وبقضايا مملكة الأرض بدل الأهتمام وبصورة مطلقة بقضايا الكنيست وقضايا السماء او مملكة الله ، اما التوجه الثاني ، فينطلق من العمليات الاجتماعية والاقتصادية التي رافقت عملية فصل الدين عن الدولة والعلم والاقتصاد.

واذا انطلقنا من التعريف الثاني لعملية العلمنة ، وهو الموضوع الذي يثير نقاشا وحوارا في العالم الغربي وفي "اسرائيل" حاليا، فسنصل الى نتائج نظرية مذهلة لعملية العلمنة اذا ما قمنا برسم انموذج نظري خالص لهذه العملية ، فاذا تصورنا فصلا مطلقا بين الدولة (عالم السياسة) والدين نجد انه ، وعلى هامش كل من العالمين ينشأ توتر وصراع[٢٨] ، وتلك مسالة تنسحب في طبيعتها على السلطة السياسية في "اسرائيل".

المطلب الأول
بنية السلطة السياسية الإسرائيلية

تتميز السلطة السياسية في إسرائيل كغيرها بوجود السلطة التشريعية ، والسلطة التنفيذية ، والسلطة القضائية، وتتجسد كل سلطة من تلك السلطات بمؤسسة او مؤسسات تمثلها وهي على النحو الاتي:-

١- السلطة التشريعية:

تتجسد هذه السلطة بالكنيست ، الذي تكون بموجب المادة الاولى من القانون الاساسي الذي ينص على " تسمية الهيئة التشريعية في"اسرائيل" بالكنيست ، ويطلق على ما

[٢٨]) عزمي بشارة ، مصدر سبق ذكره ،ص٢٤.

يصدره اسم "القانون" يوقع من رئيس مجلس الوزراء والوزير صاحب العلاقة ورئيس الدولة باستثناء ما يتعلق بصلاحياته[٢٩].

ويتالف الكنيست من مجلس واحد ، ويضم ١٢٠ عضوا ، عكس ما هو معمول به في النظام البرلماني البريطاني ، الذي حاول الكنيست التشبه به والذي يتالف من مجلسين (مجلس العموم ، ومجلس اللوردات)[٣٠].

٢- السلطة التنفيذية:

تعد السلطة التنفيذية في "اسرائيل" المحرك الاساس للحياة السياسية وتتكون من:

أ- رئيس الدولة.

ب-الوزارة (رئيس مجلس الوزراء ،مجلس الوزراء).

ففي الوقت الذي يمثل موقع رئيس الدولة في "اسرائيل" موقعا شرفيا ، فان رئيس الوزراء يتمتع بمكانة كبيرة في النظام السياسي "الاسرائيلي" وان لم تحدد بقانون مطلق كما ان علاقته مع بقية الوزراء لم يشر لها الا في هامش القوانين الاساسية وتتبع اهمية هذه المكانة من حيث كونه يمثل حزب الاغلبية في الكنيست هذا من جهة ومن جهة اخرى فان استقالته تعني استقالة الوزارة[٣١].

واللافت للنظر ان الولاء الحزبي بطغى على عمل الوزراء ، كما ان رئيس الوزراء يشترط ان يكون عضوا في الكنيست ، وتاتي المصلحة الحزبية اولا ، وذلك لان الوزراء يعدون مدينين بمناصبهم لحزبهم.

٣- السلطة القضائية:

منذ الاعلان عن قيام"الدولة" ظهرت الحاجة الى تاسيس نظام قانوني ينظم عمل المؤسسات السياسية ، وترتب على ذلك ضرورة وجود سلطة قضائية تقوم بالعمل على رعاية هذا النظام القانوني ، وبذلك اخذ دور القضاء يتزايد في تنظيم الاحكام واصدارها في القضايا المدنية والسياسية[٣٢].

ويتمتع القضاة بنوع من الاستقلال تجاه السلطتين التشريعية والتنفيذية ، لكنه لايتمتع باهمية في الحياة السياسية ، وذلك بسبب النظام السياسي الاسرائيلي ، الذي حرم

---

٢٩) Raphael Patai , Encyclopedia of Zionism and Israel , vol ١-١١op , cit , p.٦٨١.

٣٠) كامل ابو جابر ، نظام دولة اسرائيل – اطار سياسي ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣،ص١٠٧. وللمزيد من التفاصيل حول الكنيست ودوره والعضوية فيه ..ينظر :رشيد عمارة ياس، العامل الديني واثره في الكيان الاسرائيلي ، مصدر سبق ذكره ،ص١٣٢-١٣٦.

٣١) Don peretz , The Governmcnt and politics of Israel ,New York , west view press , ١٩٧٩ p.٢٨٧.

٣٢) Don peretz , The Governmcnt and politics of Israel ,New York , west view press , ١٩٧٩ p.٢٨٧.

القضاء من مراقبة الدولة ، وذلك لانه لايوجد دستور مكتوب في البلاد يستطيع القضاءمن خلاله الحكم على مدى مطابقة اعمال الكنيست والحكومة للقواعد الدستورية[٣٣].

تتميز طبيعة السلطة السياسية في "اسرائيل" بوجود بون شاسع بين طبيعة عملها من جهة ووجود المؤسسة الدينية التي تتميز بوجود العديد من الاحزاب الاصولية من جهة اخرى، التي تقود الى عدم اتضاح معالم طبيعتها بصورة جلية فضلا عن النفوذ المتمايز للاحزاب الاصولية فيها ، وهذا يؤدي الى وجود صراع بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ، ولتوضيح ذلك لابد من التطرق الى الاحزاب الاصولية في "اسرائيل" حتى يتسنى لنا معرفة طبيعة الصراع بين العلمانيين والاصوليين على السلطة السياسية. ولعل ابرز من يمثل التيار الاصولي في "اسرائيل" هي ثلاثة احزاب رئيسية تشارك في الانتخابات وفي الائتلافات الحكومية وهي:

١- المفدال.

٢- يهوديت هاتوراه(اجودات اسرائيل وديغل هاتوراه انشق عن الاول في عام ١٩٨٨).

٣- شاس.

وهي تعبير عن التيار الارثوذكسي بين المتدينين اليهود، اما التيار الاصلاحي والمحافظ في اليهودية ، فليس لهما احزاب تعبر عنهما بسبب ضعف نفوذهما في"اسرائيل" بنفوذهما خارجها.

وكان حزب المفدال يتمتع بنفوذ قوي ضمن الحركة الصهيونية بوصفه حزبا قوميا دينيا يمثل الصهيونية المتدينة ، ولكونه شارك في معظم حكومات "اسرائيل" وبحكم التحالف التاريخي بينه وبين حزب الماباي(العمل لاحقا) ،ولكن هذا النفوذ بدا ينحسرفيما بعد بحكم التطورات المجتمعية والثقافية والسياسية،وبسبب الانقسامات التي عصفت به، مما ادى الى تضاؤل نفوذه في المجتمع "الاسرائيلي". اما الحزبان الآخران فهما يمثلان التيار الأصولي المتشدد الذي يكفر الصهيونية ويعدها تدخلاً في عمل الأرادة الألهية وهما لا يعترفان بالرموز الأسرائيلية ولا بالقوانين الوضعية .

ومن الناحية السياسية يعد حزب"المفدال" اكثر هذه الاحزاب تطرفا فهو حزب المستوطنين ، الذي يرفض التنازل عن "ارض اسرائيل" بوصفها ارضا يهودية مقدسة. اما الحزبان الاخران بخلفيتهما المعادية للصهيونية فهما معتدلان[٣٤].

وتاتي في مقدمة اسباب الخلاف بين الاصوليين والعلمانيين مسالة مكانة الدين في الدولة اذ تولى الاحزاب الاصولية قضية الدين وعلاقته بالدولة، وانسجامها مع مبادئها

---

[٣٣] نظام بركات ، النخبة الحاكمة في اسرائيل ، بيروت ، مطابع الكرمل،١٩٨٢،ص٨١.

[٣٤] ماجد كيالي ، مصدر سبق ذكره ،ص ص٥١-٥٢.

واهدافها التي تسعى لها من جهة اخرى ، فمنذ تكوين التيار الديني في الحركة الصهيونية فان حزب "المفدال" دعا في برامجه الى بناء "الدولة " والمجتمع وفقا لقوانين التوراة والتيار الارثوذكسي في الديانة اليهودية ، وتمحورت نشاطاته بشان التعليم الديني ، ومكانته في دار الحاخامية ، ويوم السبت وقضية من هو اليهودي[٣٥]. لذا عدّ الحزب "قيام الدولة" بمثابةبداية الخلاص، ومرحلة في تجسيد رؤية خلاص (شعب اسرائيل) ، وفي ضوء التحولات التي طرات على المجتمع "الاسرائيلي" في السنوات الماضية ، والتي تمحورت على علاقة الدين بالدولة،يرى "المفدال" ان ثمة ضرورة لتعزيز العلاقة بين الدين والدولة، وارساها على اسس واسعة وراسخة[٣٦] ، وقد ترسخ ذلك في برنامجه الانتخابي للكنيست[٣٧].

المطلب الثاني

الصراع بين العلمانيين والأصوليين

ما فتئت العلاقة بين الأصوليين والعلمانيين بشان هذه المسالة لم تحسم ويأتي الخوف من هذه المسالة من التحسب للمخاطر المحتملة على تماسك العناصر الداخلية لها، وفي ظل عداوات وحروب مستمرة مع الوسط "المعادي المحيط" وهو احد العناصر الدافعة لتأجيل مهمة إصدار دستور مكتوب يحدد ــ بشكل قاطع ــ الملامح الرئيسية لتوجهاتها ،حتى الآن[٣٨].

غير ان هذا الامر لم يحل دون الاستدعاء المستمر، من القيادات الصهيونية السياسية للتراث الديني التوراتي، كونه اداة مجربة وناجحة في جلب المهاجرين والاموال والمساعدات من اليهود والمتعاطفين معهم في ارجاء المعمورة شتى، ولم يثن "ديفيد بن غوريون" الذي كان يستهدف عبور "المرحلة الحاخامية" في التراث اليهودي بالسبل شتى، عن ان يصرح بان "خلود اسرائيل" يرتبط باثنين : دولة"اسرائيل" و"التوراة"[٣٩]: لكنه مع ذلك كان يتحرك وفي ذهنه تصورمبني على الاعتقاد بان دور الدين في المجتمع"الاسرائيلي" ، سيتجه الى الاضمحلال التدريجي ، فانتعاشه يرتبط بظروف حياة اليهود في الشتات ، التي تعرضوا خلالها لمحن وازمات عديدة ،كان الدين وسيلتهم للمقاومة والبقاء ، والنزاع بشان قضايالها ابعاد دينية وسيصبح اقل حدة مع مرور الزمن ،مثله مثل الكثير من المشكلات التي تواجه "اسرائيل" وبمرور الزمن

---

٣٥) هاني عبد الله ، الاحزاب السياسية في اسرائيل ،بيروت ،مؤسسة دراسات فلسطينية ،١٩٨١،ص١١٢،للمزيد من التفاصيل ينظر:حميد فاضل حسن ،مصدر سبق ذكره.

٣٦) ينظر برنامج المفدال في انتخابات الكنيست الحادي عشر، القضية الفلسطينية في شهر ،العددان١٤،١٣ ،تونس :الامانة العامة لجامعة الدول العربية ١٩٨٥،ص٧٢٥.

٣٧) المصدر نفسه.

٣٨) احمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ،ص ص٣١.

٣٩) نقلا عن احمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ،ص ص٣١.

سيتضاءل الاثر الذي يستطيع المتطرفون ان يتركوه في نفوس خصومهم ، ويصبح ضعيفا للغاية[٤٠].

لكن نبوءة بن غوريون السابقة خانها التوفيق هذه المرة، فلا النزاع الديني ذوى، ولاتضاءل الاثر المترتب عليه والذي استطاع المتطرفون من غلاة الصهاينة واليهود ان يتركوه في نفوس الخصوم ،بل تزايدت وتيرة نمو الاتجاهات الاصولية (صهيونية وغير صهيونية)،(معتدلة) ومتطرفة،حتى اصبح لها-في بعض الاحيان- الكلمة الحاسمة في مصير الحكم وتوجهات السلطة، وفي تحديد من يقبض على مقاليد الامور في"اسرائيل" وهي- بسيطرتها المتزايدة تلك- تمنع، حتى الان، اقرار دستور الدولة نتيجة الخلاف بشان تعريف طبيعتها الايديولوجية، ونثير العقبات بشان قضية "من هو اليهودي"، وتحافظ على الانشقاقات الحادة في المجتمع وعلى الفوارق بين الاشكناز والسفارديم ،حفاظا على مصالحها ونفوذها المتزايدين دوما ، والمتطورين باضطراد، والاخطر من هذا، ان طبيعة العملية الانتخابية[٤١] وطريقة ادارتها قد خدمت القوى الاصولية اليهودية بصورة لم تكن بالحسبان، اذ انه نظرا لاسلوب الانتخابات بنظام التمثيل النسبي المعمول به في الدولة الصهيونية، اصبح لهذه القوى- التي كانت ضعيفة في بداية الامر- القدرة على التحكم في مسار العملية الانتخابية ونتائجها برمتها ، اذ مثلت "لسان الميزان" السياسي بين "اليمين"و"اليسار" الصهيونيين ، وتمكن بعض دهاقنة الحاخامات - اعتمادا على ذلك - من التدخل لتحديد من الذي يقبض على مقاليد السلطة الامر الذي سمح باطلاق لقب " صانع الملوك" على واحد منهم "الحاخام شاخ" بكل ما يعنيه ويستدعيه هذا اللقب من مفاهيم ومعان[٤٢].

وفي مقابل هذا الدور استطاعت الاتجاهات الارثوذكسية "ابتزاز الدولة" للحصول على منافع وخدمات متزايدة الحجم والقيمة وباضطراد ، وانهالت ملايين الدولارات على مؤسساتها ومراكزها التعليمية ، التي اضحت مع مرور الوقت "دولة داخل دولة" تصوغ طبيعة "اسرائيل" وتبني صورتها المستقبلية ، ثم كانت الخطوتان الحاسمتان في هذا السياق.

---

[٤٠]) نفس المصدر ،ص٣١.

[٤١]) يرى ماجد كيالي ، ان المقصود بازدياد نفوذ الاحزاب الاصولية هو التنامي الملحوظ في قوة حزب شاس حصرا ، فهذا الحزب استطاع ان يحوز على (١٧)مقعدا في الكنيست ومن ثم لايمكن عد النتيجة التي حققها شاس تعبر عن ازدياد نسبة الجمهور المتدين على حساب الجمهور العلماني في المجتمع (الاسرائيلي) ولاسيما بالمقارنة مع تراجع نفوذ حزبي المفدال ويهوديت هتوراة ،ينظر :ماجد كيالي ، مصدر سبق ذكره ،ص٥٣.

[٤٢]) احمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٢.

الارثوذكسية اليهودية وتخفيض الموازنات الممنوحة لهذه الاحزاب وسن قانون تجنيد طلاب المعاهد الدينية ، وخصوصا انجاز دستور للدولة يضمن علمانيتها[٤٧].

واذا كانت هذه عوامل قوة التيار العلماني فلماذا لم يحسم الصراع لصالحه؟ ان الصراع بين التيارين العلماني والمتدين يمكن ان يزداد حدة في المراحل القادمة من اجل وضع رسم حدود ودستور "لاسرائيل" في سياق تحويلها الى دولة عادية ، دولة لمواطنيها وهذا الصراع سيخضع للتحولات الداخلية في"اسرائيل" لكنه سيتاثر كثيرا بالتطورات والمتغيرات الدولية والاقليمية[٤٨]، وهذه المسالة اي حسم الصراع ليست جديدة ،اذ ان الحركة الصهيونية من الاساس حركة علمانية ، الا انها عملت على توظيف الدين اليهودي في خطتها لخلق جاذبية لمشروعها بين اوساط يهود العالم.

لذلك وفضلا عن قوة هذا التيار يغدو من العسير حسم الصراع لصالحه ، لان التيار الاصولي سيبقى دافعا رئيسيا ومحركا في السلطة السياسية "الاسرائيلية" ، وفي حال حصول الارجحية للتيار العلماني في الصراع سيخسر هذا التيار الكثير من العناصر الدافعة باتجاه الابقاء على التوازن بين التيارين ، لذلك يبدو هذا الاحتمال بعيدا عن التحقيق في الوقت الحاضر ، لاسيما مع تجاذب التيارين تجاه اقرار المصلحة العليا للكيان الصهيوني.

ثانيا: حسم الصراع لصالح التيار الأصولي/وتكوين (دولةثيوقراطية).

يعد الدين اليهودي جوهر"الدولة الاسرائيلية" اليس كل الصهاينة يهودا؟ يبدو انه والامر كذلك لن يتطلب حل المشكلة تخطيطا لبرامج ولا اعدادا لمناهج ولا تمويلا لكل ذلك ، بل يبدو انه لن تكون ثمة مشكلة على الاطلاق "ان اليهود وحدة لاتنفصم عراها، كل يهودي في اي بلد من بلاد العالم يعتقد ان وطنه هو الصهيونية ومركزها فلسطين ، ومهما تعددت الجنسيات بين اليهود ، وظن الناس ان هذا انكليزي وذلك امريكي والاخر فرنسي او روسي فانهم جميعا مواطنين صهيونيين[٤٩].

الى هذا الحد وصل الامر ببعضهم في تبسيط المشكلة التي مازالت "اسرائيل" تسعى من دون كلل او جدوى في حلها ، الحل في الدين اليهودي كما يرى هؤلاء و"اسرائيل" ليس سوى مجموعة دينية عنصرية متعصبة[٥٠]، وما كان الامر ليكلف الصهاينة شيئا ، فالمعبد اليهودي عرفه اليهود في كل زمان ومكان وما ايسر دعوتهم الى الالتفاف حوله.

---

٤٧) ماجد كيالي ،مصدر سبق ذكره،ص٥٥.
٤٨) المصدر نفسه ،ص٥٩.
٤٩) المصدر نفسه ،ص٥٥.
٥٠) قدري حنفي ، الاسرائيليون من هم؟ دراسة نفسية ،القاهرة ،مكتبة المدبولي ،د.ت،ص٢٤٠.